

مساهمة الخليفة مصطفى بن التهامي في المقاومة الوطنية

1832- 1847م

أ.د. مبخوت بودواية

أ.زاير عبد القادر

المركز الجامعي - النعامة

جامعة تلمسان

- الملخص بالعربية:

أبدى الخليفة مصطفى بن التهامي وعيه الوطني وأدراك الواقع والمشروع الاستعماري الفرنسي، فقد كان على علم بمدى أهمية تنظيم المقاومة الشعبية الوطنية لتدارك مخاطر قوات الاحتلال الفرنسي، والحفاظ على سلامة الشعب الجزائري وكرامته والعمل على بلورة مشروع وحدوي هدفه واحد، يتطلب مجموعة من الجهود المتكاثفة تعبر عن روح الإيمان بالمقاومة الوطنية، تمثلت في مواجهة قوات الاحتلال الفرنسي في مجموعة من المعارك، والعمل على صد التوسع الاستعماري والأساليب الاستعمارية الفرنسية من إبادة وسياسة الأرض المحروقة للقضاء على الشعب الجزائري وعلى المقاومة الجزائرية في تشتيت كيائها وتمزيق وحدتها.

- الملخص بالانجليزية:

The Calipha Mustapha Ben Thohami showed his national consciousness and the reality of the French colonial project. He was aware of the importance of the organization of the national resistance against the dangers of the French occupation forces to preserve the safety and dignity of the people.

And to work on crystallizing a unitary project whose goal is one. It requires a series of concerted efforts that reflect the spirit of faith in national resistance. This was in the face of the French occupation

forces in a series of battles and efforts to repel the colonial expansion and the French colonial methods of annihilation and the scorched earth policy to eliminate the Algerian people and the Algerian resistance In dispersing its entity and tearing apart its unity.

- المقدمة:

اعتمد الأمير عبد القادر في تكوين أسس الدولة الجزائرية في إطار المقاومة الشعبية الوطنية، مجموعة من الرجال في المجال الإداري والعسكري لتولي تسيير شؤون حكم البلاد، والاعتماد على النفس في مواجهة الاحتلال الفرنسي، وكان ذلك الاستعداد بعد مبايعة الأمير عبد القادر الذي استطاع اختيار قاداته العسكريين والمدنيين من أبناء شعبه لبعث الترابط والتكافل الاجتماعي وتعميم المسؤولية الجماعية للتكيف مع متطلبات العصر ومستجداته، في ظل التوغل الاستعماري بالجزائر وخاصة بعد سقوط مدينة الجزائر واحتلال مدينة وهران، فقد عمل الأمير على تنظيم الدولة من خلال تقسيم البلاد إلى مقاطعات تحت إشراف مجموعة من الخلفاء، يعملون على تعبئة الجماهير وتوفير العدة والعتاد والاستعداد لمواجهة قوات الاحتلال الفرنسي، والعمل على صد حملاته العسكرية التوسعية، فمن أشهر هذه المقاطعات الجزائرية: مقاطعة معسكر والتي ولى عليها الخليفة مصطفى بن التهامي، فمن هو مصطفى بن التهامي، وما هي أهم إنجازاته الإدارية والحربية في إطار المقاومة الشعبية الوطنية وما مصيره؟.

1- مقاطعة معسكر:

اختار الأمير عبد القادر مدينة معسكر عاصمة للدولة الجزائرية الحديثة ومقر لقيادته العسكرية بعد المبايعة، فقد اعتبرت مقاطعة معسكر من أولى

المقاطعات التي ركز عليها اهتمامه، وذلك نتيجة عوامل استراتيجية نظرا لإشرافها على أهم موانئ الساحل الغربي للجزائر وهو مرفأ أرزيو، إلى جانب قربها من مدينة مستغانم ووهران.

تقع مدينة معسكر في الإقليم الشمالي الغربي للجزائر، على أحد السفوح الجنوبية المطلة على سهل غريس بالقسم الغربي لجبال بني شقران، وتعداد سكانها كان حوالي 10 آلاف نسمة¹، تحوي مختلف الفئات من كراغلة والعرب واليهود وبضواحي مدينة معسكر تقطن عدة قبائل أهمها: قبيلة الغرابية، مجاهر، الشراقة، الحشم، وقد كانت حدودها تمتد من الصفصاف حتى واد الفضة أحد الروافد اليسرى لواد الشلف، كما تعتبر مركز للعلم تتواجد بها المدرسة المحمدية وزاوية القيطنة والتي كانت تحت إشراف الشيخ محي الدين، فقد حظيت باحترام كبير من قبل السكان².

أراد الأمير عبد القادر تأسيس قواعد جديدة في تعيين قادة الدولة، نظرا لأهمية المقاطعة، لذا قام بتعيين على إدارتها إحدى الشخصيات المحلية التي كان لها مركزا سياسيا واجتماعيا مرموقا، تمثلت في الخليفة مصطفى بن أحمد التهامي فمن هو مصطفى بن التهامي، وما أهم نشاطاته السياسية والعسكرية في إطار المقاومة الشعبية الوطنية.

2- الخليفة مصطفى بن التهامي :

أ- تعريفه ونشأته :

ولد مصطفى بن أحمد التهامي بمعسكر سنة 1205هـ الموافق ل 1788 م، وهو من أسرة متدينة ومتميزة بالثروة، ينتمي إلى أسرة الأمير عبد القادر، فهو ابن عمته وصهره، كما أنه من أشرف غريس، ينتمي إلى أولاد أحمد بن علي، وهم من الأوائل الذين استقروا بمنطقة غريس، وتعود أصولهم إلى وطن بني عامر، وكان والد مصطفى بن التهامي المدعو أحمد من علماء المنطقة حيث تولى الفتوى في وهران خلال العهد العثماني،³ وعرف بشيخ الجماعة.⁴

تميز مصطفى بن التهامي بالعلم والأدب فكان مدرسا وشاعرا وفقهيا، وكان محبا للكتب، تولى وظيفة التدريس في معسكر، لم يكن له ميل للشؤون الإدارية بالرغم من شجاعته الحربية⁵، ولكنه تولى تسيير الشؤون الإدارية والسياسية والعسكرية في مقاطعة معسكر، في إطار المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الأمير عبد القادر، ومن أبرز أثاره المكتوبة غوثية "مصطفى بن التهامي" وهي عبارة عن رجز طويل بلغ 520 بيتا واصفا فيها حالته في السجن، وهناك من ينسب إليه كتاب تاريخ الأمير عبد القادر بعنوان "مذكرات الأمير عبد القادر" وهناك من يقول كتب بالاشتراك فيما بينهما في السنوات التي قضياها بالسجن⁶. وصفه ليون روش مصرحا: "إن طبعه هادئ وصارم في نفس الوقت، يحب النظام، عينيه تشبه عين الأمير عبد القادر، قليلا ما يتكلم وإذا تكلم لا يرفع عينيه، يحب السلام والراحة، كان مخلصا للأمير في السراء والضراء، وكان يعتمد

عليه خصوصا في شؤون تسيير الدولة لسدادة رأيه وهو يعد من كبار العلماء والكتاب في عصره".⁷

3- نشاط الخليفة مصطفى بن التهامي الإداري والعسكري.

أ- توليه شؤون الخلافة:

تولى الخليفة مصطفى بن التهامي خلال تعيينه لتسيير شؤون الدولة الجزائرية الحديثة، مهمة رئاسة كتابة الديوان الأميري، إلا أنه لم يبق طويلا في هذا المنصب، وأوكل إليه الأمير عبد القادر منصب الخلافة على مقاطعة معسكر، بعد استشهاد محمد بن فريجة المهاجي " مع بداية سنة 1834⁸، وبذلك أصبح مصطفى بن التهامي يجمع بين منصبتين، يشغل منصب رئيس الديوان في مجلس الشورى الأعلى، حيث كانت مهمته داخل المجلس تتمثل في ضبط قرارات أعضائه وتسجيلها بمثابة القوانين الأساسية لتسيير شؤون الدولة⁹.

ب- دور الخليفة مصطفى بن التهامي في تعبئة جيش المقاومة:

اتبع الخليفة مصطفى بن التهامي تعليمات الأمير عبد القادر فيما يخص الترتيبات التي تخص التنظيم، ومسألة التطوع في جيش المقاومة الشعبية الوطنية، المتكون من أبناء الشعب، وتأهيلهم في إطار المقاومة وتوسيع نطاقها لصد توغل الاحتلال الفرنسي داخل مقاطعته، بالإضافة إلى تجهيزهم وتموينهم بمراعاة الظروف التي قامت عليها الدولة.

ج- بناء القلاع والتحصينات الحربية:

لقد أملى الأمير عبد القادر استراتيجية حربية على جميع خلفائه فدخلت حيز التنفيذ، وفق الخطة التي رسمها تعمل للحد من توغل الاحتلال الفرنسي نحو المدن الداخلية، حيث عمد إلى إنشاء خط من المواقع المحصنة في الحدود الجنوبية لمنطقة التل¹⁰، فكلف الخليفة مصطفى بن التهامي ببناء حصن سعيدة ببلاد قبيلة اليعقوبية¹¹، ويقع هذا الحصن على مسافة 74 كم جنوب مدينة سعيدة، وشمال البيض بـ: 198 كم وغرب تيارت بـ: 174 كم وشرق سيدي بلعباس بـ: 97 كم حيث كان هذا الحصن محاطا بسور سمكه 02 متر، بنيت داخله العديد من المنشآت ومخازن للبارود والرصاص¹².

4- نماذج من أهم المعارك التي قادها الخليفة مصطفى بن التهامي:

تعتبر كثرة الوقائع الحربية العسكرية المختلفة من مناوشات ومعارك، التي قادها الخليفة مصطفى بن التهامي رفقة الأمير عبد القادر وبعض الخلفاء ضد قوات الاحتلال الفرنسي من الصعب حصرها، لذلك سوف نقتصر على ذكر نماذج من أهم المعارك التي قادها أو شارك فيها الخليفة ضد قوات الاحتلال الفرنسي.

1- مشاركة الخليفة مصطفى بن التهامي في معركة واد السكاك 06 جويلية 1836م.:

أمام الأوضاع الصعبة التي كانت تعيشها قوات الاحتلال الفرنسي بمنطقة الغرب الجزائري، قامت وزارة الحربية الفرنسية بإرسال الجنرال بيجو "Bugeaud"¹³

في 23 ماي على للاستيلاء على معسكر التافنة وتنظيم قواته من أجل القضاء على المقاومة الشعبية الجزائرية ومصادر تموينها، وفي 6 جويلية 1836م هاجمت قوات المقاومة الشعبية الوطنية بوادي السكاك بقيادة الخليفة مصطفى بن التهامي بالتنسيق مع الخليفة البوحميدي اللذين قاما لقيادة الفرقة الأولى المكونة من مشاة غير نظاميين ومقاتلوا القبائل بين 4 آلاف 4500 مقاتل، المتمركزة على السفوح الجنوبي الغربي لوادي تيماترات، وهكذا لم يترك مصطفى بن التهامي الفرصة لقوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال بيجو،¹⁴ لتحقيق النصر والذي طلب من قواته تكثيف عملية القصف المدفعي ضد قوات المقاومة الشعبية الوطنية¹⁵ وبعدها تطفن الأمير عبد القادر لخطّة الجنرال بيجو المستهدفة لقوات المقاومة الشعبية الوطنية أمرهم بالانسحاب من وادي يسر، بينما تواصلت المشادات في هضبة السكاك انسحبت القوات الوطنية وتم احتلال المنطقة من طرف قوات الاحتلال الفرنسي .

خسرت قوات المقاومة الشعبية الوطنية 120 شهيدا و240 جريحا¹⁶ و130 أسيرا أما الخسائر الفرنسية 32 قتيلًا و70 جريحًا، حسب الإحصائيات الفرنسية لا يعتبر انهزام قوات المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الأمير عبد القادر في معركة غير حاسمة معناه نهاية المقاومة الشعبية الوطنية، وإنما هي بدايتها فرغم الخسائر والجهود المبذولة والضحايا ونقص المؤونة والذخيرة الحربية إلا أن هذه القوات التي لا تمتلك مدارس عسكرية، ولا مصانع حربية ولا عتاد مدفعي متطور تجابه

قوات أكثر تنظيماً وتحضيراً للحرب من ناحية القدرات الحربية وما زالت تضحي في سبيل الوطن¹⁷.

- مشاركة الخليفة مصطفى بن التهامي في تأديب قبيلتي الدوائر والزمالة:

بعد حصار مدينة تلمسان 1836م وجه الأمير عبد القادر خليفته مصطفى التهامي، إلى تأديب قبيلتي الدوائر والزمالة¹⁸، بسهولة وهران وكذلك أيضا بعض القبائل المنشقة من الغرابة، التي خرجت عن طاعة الأمير عبد القادر، فقام الخليفة مصطفى بن التهامي، بتسيير هذه الخطة وتأديب هذه القبائل المنشقة وقد حصلت بينه وبين قوات الاحتلال الفرنسي بعض اشتباكات كان النصر فيها قوات الخليفة مصطفى بن التهامي¹⁹.

2- دور الخليفة مصطفى بن التهامي في المقاومة بعد معاهدة التافنة.

بعد نقض معاهدة التافنة بين الأمير عبد القادر وسلطات الاحتلال الفرنسي، عمل الأمير على تغيير برنامجه وفق الظروف السياسية الفرنسية التوسعية بالجزائر، وخاصة بعد توغل قوات الاحتلال الفرنسي بمنطقة الشرق الجزائري وتخطي أبواب الحديد، التي اعتبرها الأمير خرقاً لمعاهدة التافنة في 30 ماي 1837م، وتم إعلان استئناف الحرب بعدما اجتمع الأمير عبد القادر واعيان الدولة وخلفائه بمعسكر بوخرشوفة،²⁰ لتجديد العهد ومواصلة المقاومة الشعبية الوطنية، وأتباع خطة هجومية على مراكز قوات الاحتلال الفرنسي بجميع المقاطعات الجزائرية.

3- دور الخليفة مصطفى بن التهامي في حصار عين ماضي :

كان للخليفة مصطفى بن التهامي دور فعال خلال فترة الحصار الذي فرضه الأمير عبد القادر على حصن عين ماضي ، رفقة شقيق الأمير سيدي محمد السعيد 1838م ، وطرح عليه فكرة التوجه إلى محمد الصغير التجاني لمفاوضته لإنهاء الحرب بالصلح^{1 2} ، وقبل الأمير وطلب التجاني مهلة 40 يوما لإخلاء الحصن والانسحاب منه فخابر الأمير وتم الاتفاق على الشروط التالية :

❖ يدفع التجاني تعويضات للأمير قدرها بـ: 1500 يججو أي ما يعادل 2700 فرنك.

❖ إخلاء المدينة في مدة أقصاها 54 يوما.

❖ على التجاني في حمل كل ما يريد ، وعلى الأمير أن يوفر له وسائل النقل^{2 2}.

❖ بإمكان أهل عين ماضي مرافقة التجاني^{2 3}.

❖ رفع الحصار ويتراجع الأمير بثمانية أميال حتى يسمح للتجاني بالترحال.

❖ يرسل التجاني ابنه و 12 من أعيان المدينة رهائنا كضمان حتى يتم الاتفاق.

ونلاحظ أن مصطفى ابن التهامي كان يتحلى بروح المفاوض القادر على الإقناع ، ولو لم يكن كذلك لما تمكن من التوصل إلى هذا الاتفاق مع التجاني في هذا الظرف الوجيز والمقدر بيومين فقط.

4- دوره في معركة مزگران 03 فيفري 1840 :

تعتبر حامية مزگران²⁴ إحدى المراكز العسكرية المهمة التي أنشأها الجنرال فالي "Valée" على مقربة من مدينة مستغانم، ووضعها بقيادة النقيب لوليافرل "LeLievre" والملازمين "Magnier" ودوران "Duran" ووضع تحت تصرفهم مدفع واحد عيار 04 و 40 ألف خرطوشة وبرميل بارود²⁵، وبذلك كان هذا المركز العسكري من أولى المراكز التي أمر الأمير عبد القادر بمهاجمتها عقب نقض معاهدة التافنة، وأوكل هذه المهمة إلى خليفته مصطفى بن التهامي الذي شكل قوات تتكون من 150 مقاتل من كتية المشاة النظاميين ومدفع واحد²⁶، وفرض حصار على مسافة 400 متر من حصن مزگران وأمر قوات المقاومة بسد الممرات وتشديد الحراسة عليها، وتنصيب المدفعية صوب الحصن، وباشر الهجوم في 02 فيفري بعدما حاصر الحصن مدة 04 أيام وتم الهجوم من طرف 200 مقاوم جزائري، وقد سقط منهم 50 مقاوم مابين شهيد وجريح أما الخسائر الفرنسية فقدت بـ: 03 قتلى و 16 جريح، حسب الإحصائيات الفرنسية ونظرا للقصف المدفعي الفرنسي المحكم على عكس المدافع الجزائرية التي كانت عديمة الفعالية لقدمها، جعل الخسائر من جانب قوات المقاومة أكثر منه عند القوات الفرنسية²⁷، وتضرر من ذلك بعض سكان المنطقة حتى جاءت الحامية الفرنسية من وهران، فغادرت القوات الشعبية الوطنية بقيادة الخليفة ابن التهامي إلى ناحية آرزيو، فأرهب بها قوات الاحتلال الفرنسي المعسكرة

بالحصن ، وأزعج القبائل والعشائر المنشقة عن الطاعة ومن هناك توجه إلى ناحية مستغانم ، ثم انعطف إلى مركز مقاطعة بمعسكر²⁸.

- دور الخليفة مصطفى بن تهاامي في معركة سيدي دحو 13 جويلية 1841م.

تصدت قوات المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الخليفة مصطفى بن تهاامي لقوات الاحتلال الفرنسي ، التي كانت تحت إمرة العقيد "يوسف" والعقيد "رندون" بضواحي مدينة معسكر ، مجريات هذه المعركة كانت متقاربة بين الجانبين ، حيث انتاب قوات الاحتلال الفرنسي الرعب والارتباك ، لما باغتهم قوات المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الخليفة مصطفى بن تهاامي²⁹.

- أوضاع مقاطعة معسكر بعد سنة 1841م .
وضع الجنرال بيجو إستراتيجية سياسية وعسكرية جديدة بعد تعيينه حاكما عاما على الجزائر سنة 1841م³⁰ ، تهدف للقضاء على المقاومة الشعبية الوطنية ، وذلك من خلال القضاء على المدن الجزائرية والمواقع الإستراتيجية التي كانت تدعم المقاومة الجزائرية ماديا ومعنويا ، لذلك عمل الجنرال بيجو بتتبع خلفاء الأمير عبد القادر وملاحقتهم منذ بداية سنة 1842م ، من خلال إعطاء أوامره لكل من الجنرال براقاي هيليبي "" بتنفيذ عمليات عسكرية لإخضاع منطقة شلف ، بينما كلف الجنرال شونقارني "" بمراقبة الحدود الغربية لسهل الجزائر وأوكلت إليه الأوامر لإخضاع القبائل التي كانت تساند المقاومة الجزائرية بالمقاطعة الشرقية ، من أجل احتلالها³¹.

واجهت قوات المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الخليفة مصطفى بن التهامي، قوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال لامورسيير، الذي استغل الأوضاع المضطربة التي كانت تعيشها مقاطعة معسكر، وخاصة بعد سقوط مدينة معسكر، والتي كانت تعتبر قاعدة لانطلاق الحملات العسكرية للمقاومة الجزائرية، ضد قوات الاحتلال الفرنسي، تواصلت الحملات العسكرية لقوات الاحتلال الفرنسي بقيادة الجنرال لامورسيير، الذي قامت قواته بإخضاع قبيلة البرجية في 15 فيفري 1841م، ثم توجهت نحو ضواحي مستغانم والتي قامت بعض القبائل بإعلان ولائها لسلطات الاحتلال الفرنسي، وقد تمكنت هذه القوات خلال شهر مارس من إخضاع القسم الغربي لقبيلة الحشم، واحتلال المنطقة الواقعة بين معسكر وواد شلف^{2 3}، وتم إخضاع قبيلة الحشم الغرابة بعد أسر 250 فرد من رجالها، ونهب مطاميرها وماشيتها^{3 3}.

- تحطيم حصن سعيدة:

واجهت قوات المقاومة الشعبية الوطنية بقيادة الخليفة مصطفى بن التهامي، قوات الاحتلال الفرنسي قبل وصولها إلى حصن سعيدة في 21 أكتوبر 1841م، الذي تم إخلاءه قبل أن يتم تحطيمه، واستطاعت القوات الجزائرية من القضاء على 22 جندي فرنسي وجرح 11 جندي حسب الإحصائيات الفرنسية^{3 4}.

- دور الخليفة مصطفى بن تهاامي في معركة سيدي إبراهيم 23 ديسمبر 1845:

شارك الخليفة مصطفى بن تهاامي في هذه المعركة رفقة الأمير عبد القادر والخليفة البوحميدي وبخطة محكمة، استدرجت القوات الفرنسية التي كانت بقيادة العقيد كافنيك بتعداد 400 جندي و65 فارس برفقته Courly deCongnord الذي كان تحت إمرته 185 جنديا، فأراد هذا الأخير أن يقوم بدورة استطلاعية، بعدما نصبوا المخيم يوم 23 سبتمبر 1845 بالمنطقة، كانت قوات المقاومة الشعبية الوطنية بإمرة الخليفة محمد البوحميدي، قد أعدت لهذه الفرقة الاستطلاعية كمينا بإحكام نجح في القضاء على القائد Saint Alphons والملازم Khien و20 جنديا، وبقي من هذه الفرقة 60 جنديا المتكونة من 185 جندي³⁵، وفي صباح 24 سبتمبر بدأت قوات المقاومة الشعبية الوطنية بإطلاق النار على قوات الاحتلال الفرنسي، لكن لم يكن ذلك كافيا لإخضاعهم، ونتيجة لهذا قامت بعض قوات المقاومة الشعبية الوطنية بمراقبة قوات الاحتلال الفرنسي، المحاصرة بضريح سيدي إبراهيم، وفي 26 سبتمبر قامت هذه القوات بمغادرة موقعها، نحو الغزوات ولما علمت المقاومة الشعبية الوطنية لاحقتهم بوادي مرسى الذي ستقع فيه معركة بين القوتين.

- أسباب إنهاء المقاومة الشعبية الوطنية :

بعد سقوط مقاطعة معسكر أخذ الخليفة مصطفى بن التهامي يسير مع الأمير عبد القادر، ويشارك معه في كل ما يقوم به إلى غاية أبريل 1846م، حيث عينه الأمير قائدا على الدائرة خلفا للبوحميدي الذي كان قائدا عليها في الفترة ما بين 19 أكتوبر 1845 إلى 10 أبريل 1846، ولقد جاءها الخليفة مصطفى بن التهامي قادما من الصحراء، بعد أن شارك إلى جانب الأمير عبد القادر في معركته ضد قوات الاحتلال الفرنسي، وأحضر معه عددا من الجرحى والمعطوبين،³⁶ وتولى مسؤولية الدائرة التي كانت أوضاعها جد متردية بسبب قلة المواد الغذائية والذخيرة الحربية، ولم تعد القبائل تمونها إلا بدفع مقدما، كما أن عدد سكانها تناقص³⁷، خاصة بعدما هاجرت قبيلة بني عامر³⁸، مما أدى إلى تدهور الوضع الدفاعي للدائرة، إذ خسرت القوات بقيادة الخليفة ابن تهامي 1200 فارس و 800 جندي³⁹.

بقي الخليفة مصطفى بن التهامي يدافع عن الدائرة التي كانت تأوي الأطفال والنساء والجرحى، من جراء كثرة الاشتباكات وحصار القوات الباقية، كانت بين جيشين من الغرب الجيش المغربي ومن الشرق جيش الاحتلال الفرنسي، ذلك في ظل توتر العلاقات بين "الأمير عبد القادر" والسلطان المغربي "عبد الرحمان" بعد معاهدة "طنجة 1845م"، التي اعتبرت عبد القادر خارج عن القانون، فقد كانت معركة "سلوان" هي المعركة الأخيرة التي أدخلت الأمير مع رفاقه.

أمام هذا الوضع راسل الأمير عبد القادر قادة سلطات الاحتلال الفرنسي، للتفاوض في مسألة إنهاء القتال بعد استحالة مواصلة المقاومة، أمام نفاذ الذخيرة وانعدام الدعم المادي والمعنوي، أضف إلى ذلك تزايد قوات جيش الاحتلال الفرنسي عدة وعددا، إلى جانب مساندة المغرب للسلطات الاستعمارية الفرنسية سياسيا، وخضوع معظم القبائل الجزائرية تعسفا للصف الفرنسي، حتم ذلك عملية إنهاء القتال وفق شروط⁴⁰ طلبها الأمير عبد القادر من الضباط الفرنسيين لكلا من "الجنرال لامورسيير" و"الدوق دونغور"، جرت المحادثات بجماع الغزوات⁴¹، والتي انتهت بإنهاء الأمير عبد القادر للمقاومة الجزائرية بعد نفاذ كل سبلها المادية والمعنوية.

- الخاتمة:

عمل الخليفة مصطفى بن التهامي على توسيع نطاق المقاومة الشعبية الوطنية، مستمدا حيويته السياسية والعسكرية من الأمير عبد القادر، الذي شاركهم في معاركهم الحربية ضد قوات الاحتلال الفرنسي أكثر عدة وتنظيما، ولكن عزيمة هؤلاء الرجال الذين ظلوا أوفياء لروح الوحدة والتضامن فيما بينهم ضد التوغل الاستعماري الفرنسي، وما ترتبته قواته من إبادة وحرق وانتهاك للحرمان ونهب للأراضي والممتلكات، كل ذلك لم يسقط من عزيمة الخلفاء الذين استمدوا روح المقاومة والصبر من أجل الدفاع عن الوطن.

لقد أثبتت قدرة الخليفة مصطفى بن التهامي من خلال المعارك التي قادها ضد قوات الاحتلال الفرنسي، مدى تفانيه في خدمة الوطن وبقي ملازما الأمير عبد القادر، في أصعب الظروف التي تعيشها المقاومة الجزائرية.

الهوامش:

- 1- عدة بن داهة، معسكر عبر التاريخ، دار الخلدونية، الجزائر، ط1، 2005، ص.8.
- 2- E.Daumas, correspondance du capitaine Daumas, consul à Mascara 1837-1839, Collection de Documents Inédits par le Gouvernement Général d'Algérie, éd. Jourdan, Paris, 1921, p.92.
- 3- إبراهيم لونيسي، مصطفى بن التهامي 1788-1866، مجلة عصور، العدد 03، جوان 2003، ص.
- 4- يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا في تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2004، ص.138.
- 5- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص.325.
- 6- إبراهيم لونيسي، المرجع السابق، ص.97.
- 7-L. Roche, Trente deux ans à travers l'Islam 1832-1864, éd. Didot, Paris, 1887, t. 2, p.205.
- 8- يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1983، ص.131.
- 9- من أبرز القوانين التي أصدرها قانون الجيش المحمدي الذي دونه قدور بن رويلة في كتابه وشاح الكتائب وكان أيضا يوزع المناشير التشريعية على شيوخ القبائل، ويراجع القضايا الصادرة عن المحاكم الأولية ينظر: إبراهيم لونيسي، المرجع السابق، ص.98.
- 10-Rachid Bourouiba, Places fortes et établissement militaires fondes par l'émir Abdelkader, MajallatEltarikh, Alger, 1983, p.33.
- 11- اليعقوبية: قبيلة كبيرة مشهورة بممارستها القتالية وكثرة مقاتليها بالمنطقة كانوا موالين للأمير والخليفة بن تهامي لكن الأمور استاءت لأسباب غامضة وانضموا إلى الفرنسيين مباشرة بعد تحطم الحصن سنة 1841 ينظر:
- E.Daumas, , Op.cit, p.159.
- 12- Rachid Bourouiba, Op.cit, p.36.
- 13- بيجو: ولد في 15 ديسمبر 1775 بمقاطعة لادورانتى التحق بالجيش الفرنسي ماي 1804 حارب في اسبانيا برتبة عميد وشارك في معارك بالجزائر، رقي إلى جنرال أوت 1836 وعين حاكما عاما 1841-1847 توفي 1849م ينظر:

P. Azan, L'émir Abdelkader 1808-1883, du fanatisme musulman au patriotisme Français, éd. Hachette, Paris, 1929, p. 81-83.

- 14- بيجو: ولد في 15 ديسمبر 1775 بمقاطعة لادورانت، التحق بالجيش الفرنسي ماي 1804 حارب في اسبانيا برتبة عميد وشارك في معارك بالجزائر، رقى إلى جنرال أوت 1836 وعين حاكما عاما 1891- 1847 وتوفي 1849 ينظر: أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر، ج1، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط1، 1983، ص. 286.
- 15- أديب حرب، المرجع السابق، ج. 1، ص. 302.
- 16- نفسه، ص. 304.

17-P. Azan, Op.cit, p. 85.

- 18- الدوائر والزمالة: أصل هؤلاء الدوائر والزمالة أخلاط من العرب والبربر، فالدوائر: قبيلة من القبائل الموالية للأتراك، كان رئيسها مصطفى بن إسماعيل الذي ساند الفرنسيين ينظر: محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار وهران، تح: المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص. 16.
- أما الزمالة: من القبائل الكبرى في ضواحي مدينة وهران قد وقعت اتفاقا عام 1835 المعروف باتفاق الكرمة اسم المكان التي وقعت فيه الاتفاقية وهي كانت تابعة لفرنسا تحارب الأمير عبد القادر ينظر: بديعة الحسني، المرجع السابق، ص. 78.
- 19- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص. 36.

20-T. Changarnier, *Mémoire du général Changarnier*, éd. Levraut, Paris, 1930, p. 59.

- 21- إبراهيم لونيسي، المرجع السابق، ص 102.
- 22- مصطفى بن التهامي، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تح يحي بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص. 332.
- 23- محمد الصغير التجاني: هو من أشرف المغرب، انتقل مع أبيه أحمد من فاس إلى بني توجين أصحاب تاهرت وتاقدمت من البربر إخوان بني زيان ملوك تلمسان وبني مرين ملوك المغرب الأقصى وأصبح يلقب بالتجاني وله تأليف سماه الكناش ذكر فيه ماضي موضع سكناه، ينظر: محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر وتاريخ الأمير عبد القادر، تح ممدوح حقي، دار اليقظة العربية، بيروت، ط 2، 1964، ص. 303- 304.

- 24- مزغران: تقع على بعد أربع كلم من مستغانم ليس بعيد عن مصب واد شلف بها أراضي واسعة وغنية أهلة بالسكان بها نشاط تجاري معتبر، لموقعها الاستراتيجي بالقرب من سهل شلف والهبرة ومينة وقد احتلها الجنرال ديميشال سنة 1833م بعدما واجهته قوات المقاومة. ينظر:
- M.Belhamissi, Les combats de Mazagran(Février 1840) légende et réalité ,MajaleteEltarikh, N°12, Alger, 1974, p.32.
- 25 -Ch.A. Julien, histoire de l'Algérie contemporaine :conquête et colonisation (1827- 1871) ,P.U.F, Paris,1964,p.150.
- 26- محمد بن عبد القادر الجزائري ، المصدر السابق ، ص.365.
- 27- أديب حرب ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص225 .
- 28- عبد الرحمن الجيلالي ، المرجع السابق ، ص21.
- 29-W.Estirasy, Notice historique sur le maghzen d'Oran, typographie de Berrier, Paris, 1849.p.222-223.
- 30-A. Belmare, Abdelkader sa vie politique et militaire, éd. Bouchene, Paris, 2003, p.279.
- 31-أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ج1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1996 ، ص.409.
- 32-A. Belmare, Op.cit, p. 279-280.
- 33- P. Mont Agnon, La Conquête de l'Algérie 1830-1871, Pygmalion Gérard Watelet, Paris, 1986, p.99-101 .
- 34- Ibid, p.112-113 .
- 35- P .Azan, Op.cit, p.122.
- 36- إبراهيم لونيسي ، المرجع السابق ، ص99.
- 37- أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج1، المرجع السابق ، ص265.
- 38- قبيلة بني عامر: من أقوى القبائل في منطقة وهران تمتلك أرض واسعة ويشتهر رجالها بزراعة الحبوب وتربية جميع أنواع الحيوانات، أخلصت للأمير وحاربت الفرنسيين تحت أمرة زعمائها من بينهم بشير الولد القلوشة ومحمد الولد طامي ينظر: أديب حرب ، المرجع السابق ، ج1 ص.87.
- 39- إبراهيم لونيسي ، المرجع السابق ، ص.99.
- 40-J. Ladmir, Les guerres d'Afrique, éd. Renault, Paris, 1858., p. 267-268.
- 41-S. Aouli, R. Redjala, Ph. Zoummeroff ,Abdelkader, éd. Fayard, Paris, 1994, p, 368-370.